المجلة العربية للعلوم
المجلد (٢) العدد (٣)
الإصدار السادس
٢٠٢٤ (١-١٢)

العقيدة الأشعرية في المغرب الأقصى

تقي الله النوى
باحث في سلك الدكتوراه بجامعة محمد الخامس الرباط،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٢٢ ديسمبر ٢٠٢٤م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخص

تمثل العقيدة الأشعرية أحد الأسس العقدية والفكرية للمغرب الأقصى، إذ أسهمت في صياغة الهوية الدينية والثقافية للمنطقة. تميزت الأشعرية بمنهجها الوسطي الذي جمع بين العقل والنقل، مما عزز من استقرارها واستمراريتها، وقد ساعد هذا النهج في توحيد المجتمع المغربي فكرياً وعقائدياً، خاصة في مواجهة التيارات الفكرية المنحرفة والبدع.

انتشار الأشعرية في المغرب كان نتيجةً لجهود العلماء المغاربة الذين تأثروا بفكر الإمام أبي الحسن الأشعري خلال رحلاتهم إلى المشرق، وعادوا حاملين مبادئه العقلانية. كما لعب علماء المشرق دوراً في نشر هذه العقيدة من خلال مؤلفاتهم وآرائهم. وساهمت هذه الجهود في إدخال الفكر الأشعري إلى المغرب وتطوير المدرسة المغربية العقدية.

على مر العصور، اكتسبت الأشعرية دعماً من السلطات السياسية، خاصة في ظل الموحدين الذين تبنوا هذا المذهب لتعزيز شرعيتهم ومواجهة المرابطين، حيث شكلت عقيدة رسمية للدولة، وأُدمجت تدريجياً مع المذهب المالكي في الفقه والتصوف الجنيدي. ساعد هذا التكامل الثلاثي في خلق هوية دينية مغربية متماسكة، انعكست في التعليم والتربية من خلال المنظومات العلمية، مثل المرشد المعين لعبد الواحد بن عاشر.

Abstract

The Ash'arite doctrine represents one of the doctrinal and intellectual foundations of the Far Maghreb, as it contributed to the formulation of the religious and cultural identity of the region. It was characterized by its centrist approach that combined reason and transmission, which strengthened its stability and continuity, and this approach helped unify Moroccan society intellectually and

ideologically, especially in the face of deviant intellectual currents and heresies. The spread of Ash'ariism in Morocco was the result of the efforts of Moroccan scholars who were influenced by the thought of Imam Abu al-Hasan al-Ash'ari during their travels to the East, and returned with his rationalist principles. Eastern scholars also played a role in spreading this doctrine through their writings and opinions. These efforts contributed to the introduction of Ash'ari's thought to Morocco and the development of the Moroccan school of doctrine. Throughout the ages, Ash'ariism gained support from political authorities, especially under the Almohads, who adopted this doctrine to strengthen their legitimacy and counter the Almoravids, where it became an official state doctrine, and was gradually integrated with the Maliki School of jurisprudence and Jnaidi mysticism. This triple integration helped create a cohesive Moroccan religious identity, which was reflected in education and upbringing through scientific systems, such as Abdelwahid Ben Achir's al-Murshid al-Mu'ain.

*** مقدمة**

استطاع الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤ه)، أن يؤصل مذهبا توفيقي توقيفي وسطي يجمع بين النص الشرعي والنظر العقلي، يتميز هذا المذهب بالوضوح والاتساق وخلوه من التعقيد والغموض، فالعقيدة الأشعرية تبنى على نصوص الوحي مع استنادها إلى العقل الموجه بالشرع، وبذلك تلامس الثابت الأول في الإسلام وهو الجانب العقدي، الذي يُعدّ أساس الدين وأشرف العلوم الإسلامية. وقد برز الإمام الأشعري في هذا المجال مجدداً ومصلحاً، بعد تحوله من مذهب الاعتزال إلى نصرة عقيدة أهل السنة والجماعة، حيث أسّس منهجاً معتدلاً يرتكز على أصول قوية ومتينة. وتمثل جهوده علامة فارقة في صياغة معالم مدرسة كلامية واضحة الأطر تُجسد عقيدة أهل السنة، وهو ما جعلها أساساً صلباً لمواجهة المدارس الكلامية والتيارات الفلسفية الأخرى، ولم تقتصر هذه المدرسة على الإمام الأشعري فحسب، بل تولى أتباعه من بعده تطويرها وتأصيلها بما يتناسب مع التحديات الفكرية المتجددة. فجاءت مصنفاتهم العلمية لتتناول القضايا العقدية والمباحث الكلامية المتنوعة، مما عزز مكانة العقيدة الأشعرية كإطار فكري متكامل يجمع بين النقل والعقل.

أدرك المغاربة مكانة الإمام الأشعري العلمية، وأهمية جهوده في صون عقائد أهل السنة والجماعة، مما جعلهم يتبنون عقيدته بوعي وإدراك. وقد انعكس هذا التقدير في إقبال العلماء وطلبة العلم على دراسة منهجه العقدي وتعليمه، بل تعدى ذلك إلى الإبداع في شرحه وتيسيره من خلال التصنيف

والنظم، بهدف تقريب مفاهيمه إلى الأذهان وترسيخها في الوعي الجماعي.

وقد أثمرت هذه الجهود في جعل العقيدة الأشعرية راسخة في فكر الأمة المغربية ووجدانها، لتصبح مكوناً أساسياً في بناء هويتها العقدية، وحاضرة بقوة في مختلف مراحل تاريخها. هذا الحضور المستمر للعقيدة الأشعرية في العقل الجمعي للمغاربة يعكس ارتباطهم الوثيق بمنهج الوسطية والاعتدال الذي تمثله، ويؤكد دورها في تعزيز الانسجام الفكري والديني داخل المجتمع المغربي.

لقد ارتبطت العقيدة الأشعرية بتاريخ المغرب ارتباطاً وثيقاً، حتى غدت أحد الثوابت الأساسية لهوية المملكة الدينية ومكوناً بارزاً من مكونات نسيجها الثقافي والحضاري. وقد أسهمت هذه العقيدة في صياغة الوعي الديني للمجتمع المغربي عبر العصور، بفضل جهود علماء بارزين كرّسوا أنفسهم لنشرها وتعليمها. هؤلاء العلماء لم يكتفوا بتدريسها في الحلقات العلمية التقليدية، بل أغنوا المكتبة الإسلامية بمصنفات علمية عميقة أسهمت في تعزيز انتشارها وتأصيلها. كما عملوا على توجيه أتباعهم وطلبتهم لتبنّي هذا المذهب والدفاع عنه، مما أكسب العقيدة الأشعرية طابعاً جماعياً مميزاً، وأرسى دعائم وحدتها الفكرية والعقدية في أوساط المجتمع المغربي.

هذا الارتباط الوثيق لم يكن مجرد توافق تاريخي، بل كان نتيجة عوامل عدة، من أبرزها تكيّف العقيدة الأشعرية مع خصوصيات المجتمع المغربي وتحدياته الثقافية والسياسية. كما لعبت السلطة السياسية، في مراحل مختلفة من تاريخ المغرب، دوراً محورياً في دعمها وتبنيها باعتبارها ركيزة أساسية لتحقيق الاستقرار الديني والتماسك الاجتماعي. هذا التفاعل المتبادل بين العقيدة الأشعرية والبيئة المغربية يبرز دورها ليس فقط كمذهب عقائدي، بل كآلية لتحقيق التوازن بين الدين والسياسة والثقافة في المغرب.

إضافة إلى ذلك، شكّل اعتماد العقيدة الأشعرية إطاراً مرجعياً للنخب العلمية والدينية وسيلة لتوحيد المرجعية الدينية في مواجهة تيارات فكرية دخيلة. وقد أفضى هذا الدور إلى إبراز الأشعرية كعنصر محوري في صياغة نموذج التدين المغربي المعتدل والمنفتح.

وعليه، فإن دراسة العقيدة الأشعرية في السياق المغربي تفتح المجال لتسليط الضوء على دورها في بناء الهوية الدينية للمغرب وإسهامها في تشكيل الخصوصية الثقافية والحضارية التي تميز هذا البلد.

وتتجلى أهمية الموضوع في ضرورة معرفة الباحث للعقيدة الأشعرية، وهذا ما يشكل جوهر الإشكال الرئيسي لهذا الموضوع، الذي يهدف إلى الوقوف على مهمات التعاريف الذي جاء بها، وإلى الإستعانة بجهود علماء مغاربة الأقصى الذين بدلوا جهدهم ووسعهم في خدمة العقيدة الأشعرية وانتشارها حتى أصبحت ثابتا من ثوابته الدينية.

فنظرا لطبيعة الموضوع سوف أحاول الإجابة عليه معتمدا على المنهج التاريخي وذلك من خلال تتبع مراحل دخول العقيدة الأشعرية إلى المغرب الأقصى، والمنهج الوصفي المتمثل في التطرق إلى أبرز الأعلام الذين ساهموا في ترسيخ المذهب الأشعري.

من خلال ما سبق سوف أتطرق في هذا الموضوع إلى أهم مفاهيم الموضوع، وانتشارها في المغرب الأقصى.

*** تعريف العقيدة الأشعرية**

مصطلح "العقيدة الأشعرية" يعد تركيبا إضافيا يجمع بين لفظ "العقيدة" بوصفها علما يتعلق بأصول الإيمان، و"الأشعرية" نسبة للإمام أبي الحسن الأشعري.

العقيدة في اللغة: –

مأخوذة من العقد، الأعقاد والعقود جماعة عقد البناء، وعقده تعقيدا، أي جعل له عقودا، وعقدت الحبل أعقده عقدا ونحوه، أي انعقد، والعقدة موضع العقد من النظام ونحوه، وعقدة كل شيء: ابرامه، واعتقدت مالا: جمعته، وعقد قلبه على شيء: لم يترع عنه[1].

كما جاء في تهذيب اللغة، عقد: قال الله تعالى: [يأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود]، [سورة المائدة، الآية: ١]، قيل العقود العهود، وقيل الفرائض التي ألزموها، وقال في عقد: قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم، وانعقد النكاح بين الزوجين، والبيع بين البيعين، وانعقد عقد الحبل انعقادا، وموضع العقد من الحبل معقد، وجمعه معاقد[2].

وجاء في الصحاح،[3] "عقد عقدت الحبل والبيع والعهد، قال الكسائي: يقال للقطران والرب ونحوه: أعقدته حتى تعقد، والعقدة بالضم: موضع العقد، وهو ما عقد عليه، يقال: جبرت يده على عقدة، أي على عثم، والعقدة: المكان الكثير الشجر أو النخل.

وجاء في معجم مقاييس اللغة للمؤلف ابن الفارس، العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها، وعاقدته مثل عاهدته، وهو العقد والجمع عقود، وعقدة النكاح وكل شيء وجوبه وإبرامه، والعقدة في البيع إيجابه، يقال اعتقد فلان عقدة، أي اتخاذها، واعتقد مالا وأخا، أي اقتناه، وعقد القلادة ما يكون طوار العنق[4]، أي مقداره.

أما في الإصطلاح: –

وهي كل ما يجزم به الإنسان، ويصدق به من غير الشك، ويتيقنه في قرارة نفسه وهي الإيمان الجازم بالله عز وجل وما يجب له من التوحيد والعبادة والطاعة ثم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر أصول الإيمان ثم أركان الإسلام والقطعيات الأخرى[5].

وعلى هذا فإن أمور العقيدة هي كل ما ثبت به الشرع، فسائر ما ثبت من أمور الغيب هو من أصول العقيدة، الأخبار التي جاءت في كتاب الله وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي من العقيدة.

---

١ - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٠ه)، ج ١، ص١٦٢.

٢ - تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت٣٧٠ه)، "باب العين والقاف مع الدال"، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – ببيروت، ط: الأولى – ٢٠٠١م.

٣ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣ه)، مادة عقد، ت: محمد تامر، دار الحديث، ط: ١٤٣٠ه، القاهرة، وفي القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ت٨١٦ه)، باب الدال فصل العين، ت: محمد نعيم العرقسوني، دار الرسالة – لبنان، ط: الثامنة – ١٤٢٦ه.

٤ - معجم مقاييس اللغة، تأليف أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين، ص٨٦.

٥ - مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر بن عبد الكريم العقل، ص٩.

فالعقيدة مأخوذة من العقد والاعتقاد أي الثبات، وهي الأمور التي يجب على المكلف أن يصدق بها تصديقا جازما يطمئن إليه قلبه وترتاح إليه نفسه[٦]، حتى تكون عنده يقينا لا يخالجه فيها الشك ولا يتسرب إليه أدنى وهم، كأن المؤمن أحكم ربطها وعقدها بقلبه حتى صارت عقدة معقودة لا سبيل على حلها بأي طريق من طرق التشكيك.

كما عرفت أنها الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه الشك لدى معتقده، على جهة العموم.

فهي الإعتقاد الجازم بأركان الإيمان وأصول الدين وثوابته، وكل ما ثبت عن الله سبحانه وتعالى، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، من الأمور القلبية والقولية والعلمية، وأيضا مناهج الحياة، بل ويشمل ذلك جانب التعامل مع الآخرين، وهذه نقطة مهمة، لأن كثيرا من الذين يتناولون أمر العقيدة يغفلون أو ربما يذهلون عن أن ثمرة العقيدة هي التعامل الظاهر[٧].

فالعقيدة الإسلامية: هي مجموعة من الأسس والمبادئ المتعلقة بالخالق عز وجل، والنبوات، وما أخبر به الأنبياء من الأمور الغيبية، مثل الملائكة والبعث واليوم الآخر وغيرها من الأمور التي أخبر بها الرسل بناءا على ما أوحى الله عز وجل إليهم، ومن ثم دعوا الناس إلى الإيمان الجازم بها مع اعتقاد بطلان كل ما يخالفها[٨].

سُمِّيت "الأشعرية" بهذا الاسم نسبةً إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، بن أبي بشر بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ويقصد هنا بلفظ الأشاعرة على كل من سلك مسلك الإمام أبي الحسن الأشعري في الاعتقاد[٩]، ليس على سبيل التقليد، وإنما اعتماداً على الاستدلال والاهتداء بنهجه الفكري. حيث استطاع أن يؤصل مذهبا عقديا توفيقيا وسطيا، يوازن بين دلالات النصوص الشرعية والعقل السليم، مما جعله نموذجاً فكرياً يجمع بين الالتزام بمصادر الوحي وبين النظر العقلي المنضبط، رحمة الله عليه.

*** العقيدة الأشعرية في المغرب الأقصى**

تُعد العقيدة الأشعرية المذهب الفكري والعقدي السائد في المغرب الأقصى منذ القرن الرابع الهجري، وقد اكتسبت مكانة بارزة لدى علماء المغرب ومفكريه، نظراً لما تتميز به من منهجية عقلانية تجمع بين النصوص الشرعية والعقل، فضلاً عن وسطيّتها واعتدالها الذي أسهم في تحقيق التوازن الفكري والديني داخل المجتمع المغربي. وقد ساهمت هذه العقيدة في صياغة الهوية العقدية للمغرب الأقصى، حيث اعتمدها العلماء كمنطلق فكري لدحض البدع والغلو، وتعزيز الوحدة الدينية في مواجهة التحديات الفكرية التي واجهت العالم الإسلامي عبر العصور.

٦ - الرائد في علم العقائد، للعلامة العربي اللوه، ص٣٤.
٧ - الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، علي بن نايف الشحود، ط١، ١٤٣٠ه، ص٥.
٨ - المصدر نفسه، ص٦.
٩ - أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم، جمع وإعداد حمد السنان وفوزي العنجري، ط الثانية ١٤٣١ه-٢٠١٠م، ص٣٤.

ويُبرز هذا النهج توافق العقيدة الأشعرية مع مقاصد[١٠] الشريعة[١١] الإسلامية، إذ إنها تجمع بين الاستناد إلى النصوص القطعية والاجتهاد[١٢] العقلي[١٣] الرشيد، مما ساعدها على الاستجابة لمتطلبات الواقع المتغير، مع الحفاظ على الثوابت الدينية[١٤]. وقد انعكس هذا التوجه في التراث الفقهي والعقدي للمغرب الأقصى، حيث استمر تأثيرها على مدار قرون من خلال المؤلفات العلمية، فضلاً عن المؤسسات التعليمية العريقة، التي قامت بدور محوري في نشر العقيدة الأشعرية والدفاع عنها.

هذه الخصائص جعلت العقيدة الأشعرية تشكل أساساً راسخاً للهوية الدينية المغربية، ولا تزال تحتفظ بمكانتها في الأوساط العلمية والدينية حتى اليوم.

لعب المذهب الأشعري دوراً محورياً في صياغة الفكر العقدي بالمغرب الأقصى، وساهمت جهود العلماء الأفذاذ في إدخال هذا المذهب إلى المنطقة وترسيخه كركيزة أساسية للهوية الدينية. وقد تم هذا الانتشار بفضل رحلات العلماء المغاربة إلى المشرق الإسلامي، حيث نهلوا من علوم الأشعري وأفكاره، واطلعوا على المنهجية الوسطية التي امتاز بها، ليعودوا إلى بلادهم حاملين مبادئ هذا المذهب.

ولم يقتصر الأمر على جهود علماء المغرب، بل كان لعلماء المشرق دور بارز في نشر الفكر الأشعري، من خلال التأكيد على نقل آرائهم ومذاهبهم إلى مختلف ربوع العالم الإسلامي، بما في ذلك المغرب الأقصى. وقد تميزت هذه الجهود العلمية بالتفاعل الثقافي المتبادل، حيث أثر الفكر الأشعري في تكوين المدرسة المغربية العقدية، التي تبنت هذا النهج ودمجته مع خصوصيات السياق المحلي.

وساهم هذا التأثير المتبادل في تعزيز الوحدة الفكرية والعقدية داخل العالم الإسلامي، حيث أصبح المذهب

١٠ - المقاصد، أي المعاني التي قصد الشارع إلى تحقيقها من وراء تشريعاته وأحكامه، مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد طاهر بن عاشور، ت الميساوي، ط١ ص١٨٣.

١١ - الشريعة هي الائتمار بالتزام العبودية، وقيل: الشريعة، هي الطريق في الدين، التعريفات الجرجاني، ص١٦٧.

١٢ - الاجتهاد: افتعال من جهد يجهد، إذا تعب، والافتعال فيه للتكلف لا للطوع، وهو بذل المجهود في إدراك المقصود ونيله، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي، ص٤٤.

١٣ - سمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه وقيل العقل هو التمييز الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان، أيضا هو القوة المتهيئة لقبول العلم، كقوله تعالى: [وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير]، (سورة الملك، الآية ١٠)، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمد يعقوب، فصل العين، باب اللام، مادة عقل ج١ ص١٩/١٨، أنظر المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، الحسين بن محمد، ص٥١١.

١٤ - المقصود بالثوابت ثوابت المغرب، ونعني بها الأسس الثابتة والمقدسات الراسخة التي هي قوام شخصية المغرب ومقومات ذاته وهويته وهيكل بنائه الحضاري، من الفتح الإسلامي على الآن، وهي ثوابت لأنها لم تتغير على مر العصور والأجيال وتعاقب الدول والحكام، فهي اركان بناء المغرب، وأعضاء جسمه وأطراف بدنه، فالحفاظ عليها حفاظ على وجوده واستمراره. وهي العقيدة الأشعرية في الأصول. والفقه المالكي في الفروع. التصوف السني في السلوك والآداب. إمارة المؤمنين الثوابت الدينية الوطنية للشخصية المغربية، للعلامة محمد الروكي، منشورات كلية أصول الدين (١) ص١٣.

الأشعري إطاراً جامعاً يعتمد على التوفيق بين النقل والعقل، ما جعله أداة فعّالة لمواجهة التحديات الفكرية والمذهبية، وترسيخ الاستقرار العقائدي في المغرب الأقصى عبر مختلف الحقب التاريخية.

إن انتشار العقيدة الأشعرية في المغرب الأقصى استغرق فترة زمنية أطول نسبيًا مقارنة بمناطق أخرى، وذلك لأسباب متعددة، من أبرزها الطبيعة العقدية للمغرب، حيث لم تعرف البلاد انتشارًا واسعًا للمذاهب العقدية غير السنية، كالاعتزال[١٥] والتشيع[١٦]، إلا في نطاق محدود وفي مناطق معينة. ولهذا السبب، لم يكن هناك حاجة ملحّة لدى العلماء في البداية إلى تبني المذهب الأشعري في سياق عقدي يغلب عليه الانسجام الفكري والسني. وكان يكفيهم موقف كبار العلماء من سلف الأمة انتشار الأشعرية بالمغرب إلى القرن السادس الهجري[١٧]. ومع ذلك، ساهمت عوامل أخرى، كرحلات العلماء المغاربة إلى المشرق واحتكاكهم بالتيارات الفكرية المتنوعة، في تعزيز حضور العقيدة الأشعرية تدريجيًا باعتبارها مدرسة وسطية تجمع بين العقل والنقل.

برز العديد من علماء المغرب الأقصى الذين لعبوا دورًا بارزًا في نشر العقيدة الأشعرية وتطويرها، وذلك من خلال تأليفهم للعديد من الكتب والشروح في هذا المجال، وتدريسها في المدارس والجامعات، مما ساهم في ترسيخها كمرجعية فكرية وعقدية في المنطقة، ومن أبرز هؤلاء العلماء الإمام أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرامي القيرواني[١٨] (ت٤٨٩ه)، صاحب "التجريد في علم الكلام"، الذي يعد من أوائل العلماء الذين أدخلوا العقيدة الأشعرية إلى مدينة مراكش خلال فترة حكم المرابطين، ومن العلماء الذين تتلمذوا على يده واشتهروا بنشر هذا الفكر تلميذه أبو الحجاج يوسف بن الضرير[١٩] (ت٥٢٠ه)، الذي ترك بصمة مميزة من خلال كتابه "التنبيه والإرشاد في علم الإعتقاد" والذي تميز بأسلوبه الواضح والمنهجي في عرض قضايا العقيدة، كما يعد شيخ القاضي عياض[٢٠] (ت٥٤٤ه) من العلماء الذين برزوا في

١٥ - المعتزلة: فرقة كلامية يخالفون أهل السنة والجماعة في بعض المعتقدات على رأسهم واصل بن عطاء الذي اعتزل وأصحابه الحسن البصري، مدخل إلى علم الكلام، د محمد صالح محمد السيد، دار الطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ٢٠٠١، ص٢١٩.

١٦ - عرف الإمام الأشعري الشيعة: إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا رضوان الله عليه، وبعد موته على سائر أصحاب الرسول الله صلى الله عليه وسلم، حق اليقين في معرفة أصول الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. ط١، (١٤١٨ه-١٩٩٨م)، ص٢٥١.

١٧ - جهود علماء المغرب في خدمة العقيدة الأشعرية آلية البحث ومقاصد، ص٧٤٩.

١٨ - أبو بكر بن الحسن المرادي الحضرامي، ولد في القرن الخامس، سكن غرناطة وأصله من القيروان، ودخل قرطبة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، أخذ عن أهل الأندلس، كان أول من أدخل علوم الاعتقادات إلى المغرب الأقصى، توفي سنة ٤٨٩ هجرية. موقع الرابطة المحمدية للعلماء، www.arrabita.ma، نظر إليه بتاريخ ٢ مارس ٢٠٢٤.

١٩ - هو أبو الحجاج يوسف بن ضرير بن موسى الكلبي الضرير السرقسطي المراكشي، كان من المنشغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونظار أهل السنة ت ٥٢٠ه، المصدر نفسه.

٢٠ - هو الإمام العلامة الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، القاضي أبو الفضل عياضُ بنُ موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي المالكي، ولد سنة ٤٧٦هـ، وتوفي سنة ٥٤٤ه، موقع الرابطة المحمدية للعلماء، www.arrabita.ma، نظر إليه بتاريخ ٢ مارس ٢٠٢٤.

دعم العقيدة الأشعرية، وأبو عبد الله محمد بن خلف الإلبيري (ت٥٣٧ه)، "صاحب الأصول إلى معرفة الله والرسول" الذي يعد مرجعا هاما في دراسة العقيدة والرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء[٢١].

تميزت العقيدة الأشعرية باتخذها منهجا وسطيا بين مختلف الاتجاهات العقدية، حيث لم تنحدر نحو التجسيم و لم تنفِ صفات الله تعالى، مما جعلها تحظى بقبول واسع لدى عدد كبير من علماء المغرب، وخلال فترة حكم المرابطين، بقيت الأشعرية محدودة التأثير خارج الأوساط العلمية، نتيجة لسياسة التحفظ الشديدة التي تبناها المرابطون في سبيل حماية الوحدة الدينية والمذهبية داخل المجتمع، وقد ساهمت نزعة المحافظة التي اتسم بها عند من العلماء المقربين من أمراء المرابطين وحرص طائفة أخرى على إرضائهم من أسباب هذا الوضع[٢٢].

شهدت العقيدة الأشعرية دعما كبيرا من سلاطين المغرب، خصوصا خلال عهد الولة الموحدية التي استخدمت قضايا العقيدة كأداة لتعزيز مشروعيتها السياسية، مستهدفة بذلك نزع الشرعية عن المرابطين الذين وصفوا بالتشبيه والتجسيم. وفي ظل الموحدين عرفت الأشعرية بالمغرب مرحلة من الانتشار الواسع والتأثير العميق، حيث تكاملت الأدوار بين العلماء والسلطة السياسية في ترسيخها كعقيدة رسمية للدولة. و لم يقتصر دعم السلطة السياسية على توفير الحماية للأشعرية، بل عملت على توظيفها في صياغة مشروع ثقافي وديني شامل عزز الوحدة العقائدية، مما جعل الأشعرية واحدة من الركائز الأساسية للهوية المغربية في تلك المرحلة. وبالإضافة إلى ما لقيته "مرشدة" ابن تومرت[٢٣] (ت٥٢٤ه)، وكتاباته في الاعتقاد من احتفاء اتجاه العلماء إلى دراسة وتدريس المصادر الحقيقية للمذهب الأشعري ككتاب "الإرشاد" للإمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت٤٧٨ه)[٢٤]، ومن أبرز علماء هذه الفترة أبو عمر عثمان السلالجي (ت٥٧٤ه)[٢٥]، الذي برز في علم العقيدة واشتهر بمكانته العلمية العالية وبكثرة تلامذته الذين تتلمذوا على يديه، حيث كان لهم الدور الأكبر في نشر وتعليم العقيدة الأشعرية في مختلف ربوع المغرب. وقد تميز هذا العالم بمواقفه الراسخة في مواجهة التيارات الفكرية التي انحرفت

٢١ - المرجع نفسه، ص ٧٥٠-٧٤٩.
٢٢ - المرجع نفسه، ص ٧٥٠.
٢٣ - هو العالم الشهير محمد ابن تومرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدي، وزعم كثير من المؤرخين أنه من نسبة أهل البيت، تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص٣٠١.
٢٤ - أبو المعالي عبد الملك الملقب بضياء الدين النيسابوري، والمعروف بإمام الحرمين (ت٤٧٨ه)، تفقه في صباه على يد والده أبي محمد وأتى على جميع مصنفاته وتصرف فيها حتى زاد زاد عليه ولما توفى والده أقعده مكانه للتدريس، وهو في نحو العشرين من عمره وتخرج في هذا العلم علم الكلام، على أبي القاسم عبد الجبار بن علي الإسفرايني، تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرايني، المتخرج على أبي الحسن الباهلي، تلميذ الإمام أبي الحسن الأشعري. أنظر مقدمة تحقيق كتاب الإرشاد في قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد، للجويني، ت محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، ص١٧.
٢٥ - أبو عمر عثمان بن عبد الله السلالجي العلامة إمام أهل المغرب في الاعتقاد والتصوف، أخذ عن ابن حرزهم وأبي عبد الله بن عيسى التادلي، توفي ٥٧٤ هجرية، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج١ ص٢٣٤.

نحو التجسيم، مما جعله يحظى بتقدير كبير في الأوساط العلمية حتى لقب "بمنقذ أهل فاس[٢٦] من التجسيم". ولم تقتصر جهوده على التعليم والتأليف، بل امتدت إلى إرساء أسس عقائدية متينة أصبحت مرجعا للأجيال اللاحقة.

شهدت رسالته المختصرة "العقيدة البرهانية"، انتشارا واسعا في أرجاء المغرب، حيث أقبل عليها العلماء بالشروح والتدريس، لما احتوته من أصول عقائدية راسخة وأسلوب موجز سهل الفهم. وقد ساهم هذا الانتشار في ترسيخ حضور الأشعرية كمرجعية فكرية داخل الأوساط العلمية والدينية. وإذا كانت الأشعرية قد التحمت تدريجيا بالفقه المالكي[٢٧] منذ العصر الموحدي، فإن هذا الاندماج أسهم في تعزيز الوحدة الفكرية بين مختلف المكونات الدينية للمجتمع المغربي. وإلى جانب ذلك، مال معظم أهل التصوف إلى المذهب الأشعري، لما وجدوا فيه من توافق مع منهجهم الروحي الذي يقوم على التوازن والاعتدال، مما جعل الأشعرية المذهب العقدي الأكثر حضورا بين علماء التصوف.

وهذا الالتحام بين المكونات الثلاثة للتدين في المغرب هو الذي سيلخصه لاحقا الفقيه عبد الواحد بن عاشر[٢٨] (ت١٠٤٠ه)، وهو يوضح عمدة منظومته التعليمية "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" قائلا: –

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك[٢٩]

تستند هذه المنظومة إلى تكامل ثلاثي يتمثل في العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، والتصوف الجنيدي، مع ترتيب منطقي ومنهجي يراعي مراحل بناء الإنسان وتكوينه الفكري والروحي. إذ يبدأ التعليم بالعقيدة، كونها تمثل الأساس في تكوين شخصية الإنسان وصياغة عقله الراشد. فالعقيدة تؤسس للأصول الكبرى والكليات التي ينبني عليها التصور السليم والاتجاه القويم في الحياة.

ثم ينتقل التعلم إلى الفقه، الذي ينقسم إلى العبادات والمعاملات وسائر الفروع الفقهية. فالفقه يوفر للمتعلم الإطار التشريعي الذي ينظم علاقاته وأفعاله وفق الشريعة الإسلامية. وهذا الترتيب يعكس أولوية ترسيخ العقيدة لضمان وضوح التصور والتزام المبادئ، يليها اكتساب المعرفة الفقهية المتعلقة بعبادات الفرد ومعاملاته.

---

٢٦ - فاس العاصمة الدينية والروحية والعلمية للمغرب، تشكل فاس جزءا أساسيا من التراث العربي الإسلامي والمغربي، سميت بهذا الإسم حيث أنه لم شرع المولى ادريس في حفر أساسها مم جهة القبلة وجد في الحفير فاس فسميت المدينة به، كتاب جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، علي الجزنائي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية، ط٢/١٩٩١م. ص٢٤.

٢٧ - يعرف الفقه بأنه، العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وسمي هنا بالمالكي نسبة للإمام مالك رحمه الله، حيث المذهب المالكي مذهب سني معتدل قائم على التزواج بين العقل والنقل، غني بأصوله وقواعده، راسخ بمدارسه ورجاله عميق باجتهادته وآرائه وفتاويه. الفقه والشريعة، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص٢، أنظر الثوابت الدينية الوطنية للشخصية المغربية، للعلامة محمد الروكي، منشورات كلية أصول الدين (١) ص٣٦.

٢٨ - عبد الواحد ابن عاشر (١٠٤٠ه-٩٩٠ه)، هو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري المعروف بابن عاشر، الدرر الثمين والمورد المعين، محمد بن أحمد المالكي، ت عبد الله المشاوي، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٩ه ٢٠٠٨م، ص٧.

٢٩ - منظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، لابن عاشر.

وأخيرًا، تأتي مرحلة تزكية النفس من خلال التصوف، حيث تنعكس المعارف والعقائد والفقه على شخصية المتعلم سلوكًا وأخلاقًا. فالتصوف يُعنى بتنزيل هذه المعارف إلى واقع المتعلم، ليصبح العلم وسيلة لتزكية النفس وصونها من المذمومات والآفات، مع التحلي بمكارم الأخلاق والفضائل. وبهذا، تكتمل منظومة التعلم من خلال الجمع بين العقيدة التي تُنير العقل، والفقه الذي يهذب السلوك، والتصوف الذي يرقّي النفس ويهديها إلى الكمال الأخلاقي.

إن هذا التدرج المنهجي في البناء التعليمي يعكس رؤية شاملة لتكوين المسلم في عقله وسلوكه وروحه، مما يضمن توازنًا بين المعرفة والعمل، وبين العلم والأخلاق، ليصبح المتعلم قادرًا على الاستفادة العملية من هذه العلوم والمعارف في حياته اليومية وعلاقاته الاجتماعية.

لذلك فإنه قد ذكر في هذا البيت المرتكزات الأساسية التي اعتمدها المغرب في صياغة هويته الدينية والثقافية عبر التاريخ منذ دخول الإسلام إليه. وتتمثل هذه المرتكزات في الثوابت التي اختارها علماء المغرب وأئمته لتعزيز فهم الدين الإسلامي وتطبيقه في مجالات العقيدة، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق. وقد كان اختيار هذه الثوابت نتيجة اجتهاد علمي ممنهج قام به العلماء لتوضيح معالم الدين الإسلامي وتقديمه بمنهج يضمن سلامة الفهم والتطبيق.

وفي مجال العقيدة، اعتمد المغرب المنهج الأشعري الذي يُنسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. ويُعتبر هذا المنهج إطارًا علميًا متماسكًا لفهم المعتقدات الإسلامية، حيث يقوم على الجمع بين النقل والعقل في معالجة القضايا العقدية، مما جعله من أكثر المناهج تأثيرًا وانتشارًا في العالم الإسلامي.

أما الفقه، فقد اختار علماء المغرب المذهب المالكي منهجًا لتأصيل الأحكام الشرعية وتنظيم العبادات والمعاملات، لما يتميز به من مرونة وشمولية تراعي تنوع الواقع وأحوال الناس. وبالنسبة للسلوك والتزكية، فقد استندوا إلى التصوف السني المستمد من منهج الإمام الجنيد، والذي يركز على تزكية النفس وتهذيبها بالأخلاق الإسلامية الفاضلة.

إن اختيار هذه الثوابت لم يكن عشوائيًا، بل جاء استجابة لحاجة الأمة إلى منهج علمي شامل لتعليم الإسلام وفهمه. وقد اجتهد العلماء في بناء مناهج واضحة لكل قسم من أقسام الدين: العقيدة، الفقه، والسلوك. فكل قسم يقوم على أسس منهجية دقيقة لضمان سلامة الإفهام والتطبيق، مما يجعل هذه الثوابت ركيزة أساسية لهوية المغرب الدينية والحضارية.

ظلت "البرهانية"، و"المرشدة"، لابن تومرت تهيمنان على مجالس العلم بالمغرب لفترات طويلة، حتى جاء العلامة محمد بن يوسف السنوسي[٣٠] (ت٨٩٥ه)، وأحدث نقلة نوعية في دراسة العقيدة من خلال مؤلفاته، ومن أبرزها رسالته الشهيرة "أم البراهين" أو "العقيدة الصغرى"، تميزت هذه الرسالة بصغر حجمها وسهولة عباراتها، مما جعلها تحظى بانتشار واسع بين العلماء وطلبة العلم. وبفضل ذلك أصبحت "أم البراهين" مع شروحها مرجعا مركزيا في علم العقيدة بالمغرب، واستمرت تدرس في الحلقات العلمية إلى زمن قريب.

وفي الوقت ذاته، كان لبعض المناطق، كمنطقة سوس منظومات عقدية باللغة الأمازيغية ألفها بعض الفقهاء

٣٠ - هو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر ابن شعيب السنوسي وهو الحسني نسبة إلى الحسن بن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه، ولد بتلمسان عام ٨٣٢ه وتوفي سنة ٨٩٥ه، المواهب القدسية في المناقب السنوسية للتلمساني الملالي نسخة الخزانة العامة تحت الرقم ٦١٩ ص١٤.

لتناسب احتياجات الطلبة في الزوايا[٣١] العلمية، ما يعكس اهتمام العلماء بتيسير العلم لجميع فئات المجتمع.

لقد ساهم المنهج الأشعري، بجانب المذهب المالكي في الفقه والتصوف الجنيدي، في صياغة نموذج متكامل للانسجام العقدي والمذهبي بالمغرب. فهذا التكامل بين العقيدة والفقه والسلوك أدى إلى خلق بنية علمية وروحية متجانسة أسهمت في استقرار الهوية الدينية للمغرب، ورسخت منهجا وسطيا يجمع بين العمق المعرفي والبعد العلمي.

*** خاتمة**

الحمد لله رب العالمين وصلاة والسلام وبارك على أشرف المرسلين نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من خلال ما سبق نخلص إلى مجموعة من النتائج:-

١- شكلت العقيدة الأشعرية أحد الركائز الأساسية التي بعثت في المغرب الأقصى روح التجديد والنشاط في العلوم الكلامية، وأسهمت في تحرير الفكر من شبهة التقليد والعلوم غير النافعة. كما أعادت للإيمان أصالته وقوته، مما جعل أكبر علماء الفقه في المغرب ينتمون إلى المدرسة الأشعرية، ويعتمدون منهجها التوفيقي.

٢- يُعد المذهب الأشعري مذهبا توفيقيا يجمع بين النصوص الشرعية القطعية والنظر العقلي السديد، وهو منهج وسطي تأسس على يد الإمام أبي الحسن الأشعري، الذي لم يؤسس مذهباً جديداً، بل أصل منهجاً يعتمد على أصول راسخة في العقيدة الإسلامية، مع تطوير آليات التفكير والنظر.

٣- لعب العلماء المغاربة دوراً ريادياً في نقل المذهب الأشعري إلى المغرب الأقصى، عبر التأليف والتدريس، كما بذلوا جهوداً كبيرة في ترسيخه كمعتقد سني جامع، حتى أصبح من ثوابت الهوية الدينية المغربية وأحد مكوناتها الثقافية.

٤- ساهمت العقيدة الأشعرية في بناء الهوية الثقافية والفكرية للمغرب الأقصى، حيث انعكس تأثيرها على مختلف مجالات الحياة، بما في ذلك الفكر، والتعليم، والمجتمع. وقد أصبحت عنصراً محورياً في تعزيز الوحدة العقدية والثقافية للمجتمع المغربي عبر العصور.

٥- هذا التكامل بين النصوص الشرعية والعقل، والجهود المتضافرة للعلماء، جعل من العقيدة الأشعرية نموذجاً حياً للتفاعل بين الدين والثقافة، بما يعزز استمراريتها ودورها الريادي في العالم الإسلامي.

*** المراجع**

أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم، جمع وإعداد حمد السنان وفوزي العنجري، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

الإرشاد في قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد، للجويني، ت محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، ص١٧.

تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ج٦، ص٣٠١.

تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١– ٢٠٠١م.

٣١ - جهود علماء المغرب في خدمة العقيدة الأشعرية آلية البحث ومقاصد، ص٧٥٠.

جهود علماء المغرب في خدمة العقيدة الأشعرية آليات ومقاصد الخطاب، إعداد الباحث: محمد حبيب الله، تاريخ الإصدار: ٢ آيار ٢٠٢١م.

التعريفات الجرجاني، ص١٦٧.

الثوابت الدينية الوطنية للشخصية المغربية، للعلامة محمد الروكي، منشورات كلية أصول الدين (١) ص١٣.

الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، علي بن نايف الشحود، ط١، ١٤٣٠ه/٢٠٠٩م.

الدرر الثمين والمورد المعين، محمد بن أحمد المالكي، ت عبد الله المنشاوي، دار الحديث القاهرة، سنة الطبع: ١٤٢٩ ه ٢٠٠٨م.

الرائد في علم العقائد، للعلامة العربي اللوه، طبع بتطوان سنة ١٩٧٣م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨ه)، ط: ١٤٣٠ه/٢٠٠٩م.

العين، لأبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ – ١٧٥ه)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي/ الدكتور إبراهيم السامرائي.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي، ص٤٤.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف، ج١ ص٢٣٤.

مدخل إلى علم الكلام، د محمد صالح محمد السيد، دار الطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ٢٠٠١، ص٢١٩.

مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد طاهر بن عاشور، ت الميساوي، ط١ ص١٨٣.

المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، الحسين بن محمد، ص٥١١.

المواهب القدسية في المناقب السنوسية للتلمساني الملالي نسخة الخزانة العامة تحت الرقم ٦١٩ .

مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، رسائل ودراسات في منهج أهل السنة، ناصر بن عبد الكريم العقل، الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بالرياض.

معجم مقاييس اللغة، تأليف أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

منظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، أبي محمد عبد الواحد ابن عاشر، مكتبة القاهرة لصاحبها: علي يوسف سليمان.

موقع الرابطة المحمدية للعلماء، www.arrabita.ma.